

فاطمة

نداء المال ...

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

ما للحياة قد مالت بآمالى؟! وأين مالى؟
لقد كنت معتزاً به حتى سميت « صاحب عزة »!
وكنت سميداً في جمه؛ فندوت « صاحب سعادة »!
ترى: أنادتنى شقوة المحرومين لأبلو شقاءهم؟
أم دعتنى بلوة المكروبين لأذوق بلاءهم؟
حسبي يا زمان!

طالباً طال عنق، وتطاول حنق؛ حتى نزل المنق بين كتنى
وكاد يحس من كيانى، واسترخى الحق في بلاهة ردتنى إلى
الحقيقة، فمرفت ميزانى واتزانى!
كنت أزن المقادير على قدرك، وأسطنع الجاه في ظلك، وأدعى
الأصل المربق بأصالتك!

كانت النفلة تركب وأسى؛ فأتفانى عن الحق، وأصور الحياة
متمات لاهية تملأ لهوات الأطلاع!

ما حسبت أن السيادة فطرة الله فتغالبت وتماليت، حتى
أرخصنى غلوى، وهبط بنى علوى، وتبصرت حياتى فوجدتنى
صغراً بلا آحاد، بعد أن كنت واحداً يياهم بأصفار على يمينه!

يا مالى! ...

أناديك وقد طويت كشحك عنى، كأنك ترد إلى «ضريبة»
غرورى. وما جدواى من نداءك بعد أن كبا بنى جدى،
وأخلفت الأيام مهدي؟

يا مالى! ...

ليست فيك آمالى؛ فقد علمت أن الآمال في خزانة القلب ممثلة
في الرضا، والقناعة، والأمن، والسلامة!

يا مالى! ...

كان الشيطان ينسرى، ويفرربى، حتى ترككنى في مزجر
الحسرة؛ فرميت مرى المهانة!

يا مالى! ...

ماذا دهانى حتى أعانى ما أعانى؟

كنت أضع في مجتمعى حدوداً حتى حددت حياتى، وكنت
أأخذ «بطانة» نبارك ركابى، فتركت وحدى أقامى عذابى!
أين ظلال الشخصوس التى كانت تظل بشمى وغرورى؟ وأين
مغريات الطخيان لترى بأسائى ومصيرى؟

يا مالى! ...

كانت أخيلتى مجنحة، تخلق بنى إلى عالم وهمى؛ فحسبت الحياة
كلها عرضاً يساع بك، وكنت فى سيبك أعرض عرضى،
لأحصل على مبالغى نفسى الطموح، وصرت معلقاً بخيوط أوهاى
حتى سخرت منى الحياة!

كنت أناجيك «يا مالى» مناجاة التخليد، فلم يقع فى تقديرى
أن قدرى فى يد القدر، حتى أعجزتنى المعجزة التى أحرست لسانى
وأجلت جنائى!

يا مالى! ...

أسترد على نجدى؟ أم أن طول النحر لا يجدى؟
كنت أحسب الزمن يداعبنى بملاهة ضاحكة، لكن تبين لى
أن الأضحوكة قد تكون حكمة!

ما ظننت يوماً - يا مالى - أن المحروم المنكد العيش، سيمتز
بجياته، ويكون صاحب «عزة» أصيلة عن عزى الدخيلة!
ما حسبت أن مشة وق القدمين الكادح، سيسقى طريقه فى
الحياة على عمل جليل، ونظام متسق، ووحدة متألفة!

يا مالى! ...

لقد غيبتنى الأعموبة فى غيبوبة العجب، وإلى لسائل نفسى
كيف استعالت أوضاع حياتى فى طرفة العين إلى ما أرى من